من القيم الحضارية في السيرة النبوية

تسامح الرسول صلى الله عليه وسلم

مع أهل الكتاب

إعداد

د. البان بن محفوظ الإدريسي

أستاذ مشارك الجامعة القا سمية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

التخصص: التاريخ الإسلامي (صدر الإسلام)

من القيم الحضارية في السيرة النبوية تسامح الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب

البانِ بن محفوظ الإدريسي

التخصص التاريخ الإسلامي (صدر الإسلام) كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة القاسمية

الملخص:

قناعتي أن السيرة النبوية هي البيان للإسلام، وذلك من خلال أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته

ومن خلال مسيرة الأمة وحركتها الحضارية صعودا وهبوطا، فسرت بعض النصوص القرآنية وبعض الأحاديث النبوية تفسيرا متأثرا بواقع المفسر قوة وضعفا رضا وسخطا، وبالتالي وجد التباين أحيانا في التفسيرات ؛ لذلك نحن في أمس الحاجة للعودة للسيرة النبوية ودراستها للاقتداء وفهم النصوص المتعلقة بتعاملات الرسول ﷺ عامة، ومع أهل الكتاب خاصة الذي كان تعامله ﷺ كعادته في غاية الاحترام، فكانت هذه الدارسة لبيان ذلك وجاءت في مقدمة ومباحث ثلاث وخاتمة:

أما المقدمة فقد بينت فيها المفاهيم المتعلقة بالعنوان كالتسامح وضوابطه ،وبينت الفرق بينه وبين التنازل وكذلك التعريف باهل الكتاب

وفي المبحث الأول جاء الحديث عن مظاهر التسامح الديني مع أهل الكتاب، ومن ذلك السماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية والتحاكم إلى شرعهم، والإنصاف لهم في الحكم

وفي المبحث الثاني كان الحديث عن الصِلات الاجتماعية معهم كالزواج منهم واكل أطعمتهم وفي آنيتهم، وتبادل الزيارات معهم، وعيادة مرضاهم، وقبول هداياهم، وإكرام وفادتهم، والدعاء لهم بالهداية، والعفو عمن أساء منهم في حقه ﷺ والتعامل معهم بيعا وشراء

ثم تناولت في المبحث الثالث العلاقات السياسية معهم، وكيف اختار الرسول ﷺ الحوار بدل الصدام لان الصدام وسيلة العاجز وإن كان يتظاهر أنه من يملك أدوات القوة {لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين} { حرقوه وأنصروا آلهتكم } هكذا هو العاجز عن الحوار، أما الرسول ﷺ فيملك كامل القوة من خلال الحجة والبرهان؛ لذلك فتح ﷺ الحوار مع كل المخالفين وخاصة أهل الكتاب { الذين آتينهم الكتاب يعرفونه كمايعرفون أبناءهم ...} فقد تحاور الرسول ﷺ مع زعماء اليهود وأحبارهم وزارهم في بيوت علمهم، كما تحاور مع النصارى مباشرة كحواره مع نصارى نجران، أو من خلال الرسائل التي وجهها الى ملوكهم وزعمائهم، كما قام ﷺ بعقد المعاهدات معهم.

وبذلك يكون البحث قد اشتمل على بيان تعامل الرسول ﷺ مع أهل الكتاب دينيا وسياسيا واجتماعيا، وقد ختمته بأهم المفاهيم التي اظهرتها من خلال الدراسة والتمحيص. والله الموفق

الكلمات المفتاحية : القيم الحضارية – السيرة النبوية – التسامح – أهل الكتاب.

Civilization Values Corpus in the Prophet's Biography: Tolerance with the People of Book

Alban Ben Mahfouz Al-Idrisi

Specialization: Islamic History (Sadr al-Islam) Faculty of Arts and Humanities Qasimiyah University

Abstract:

In fact, Sira – Prophet's Biography – is a practical explanation and application of Islam since it embodies the Prophet's sayings, deeds and approvals. Throughout the nation's history, with its ups and downs, some Quranic verses and Prophetic tradition were explained based on the expounder's own situation with all of its bearings, positive or negative. Accordingly, such explanation varied. As such, we direly need to consult the Prophet's Biography, study it, follow its model and deeply understand the Prophet's behavior in general, and towards the People of the Book in particular; especially as the Prophet's behavior was highly considerate, respectful and gentle. Therefore, this study has been developed featuring an introduction, three subsections and a conclusion.

The introduction addresses the concepts of the title, including tolerance, its controls, the difference between tolerance and concession or waiver, in addition toa definition of the People of the Book.

The first subsection elaborates on the aspects of tolerance towards the People of the Book, such as allowing them to practice their rituals and resorting to their own law for arbitration and offering their judgements and rulings.

The second subsection deals with social relation, including marriage, eating their food and serving food in

their utensils, visiting, seeing their sick, accepting their gifts, asking Allah to guide them, forgiving their assaults on him (PBUH) and transacting with them.

The third subsection addresses political relations with them, how the Prophet opted for dialogue instead of conflict as it denotes helplessness even if outwardly implies power such as: (If you choose god other than me, I will certainly put you among prisoners) and (Burn him, and [thereby] succor your gods). Allah also says: (Those to whom We gave the Book know him (Prophet Muhammad) as they know their own sons. But a party of them conceal the truth while they know) Only the helpless adopt this approach. But had full power with arguments and evidence. He (PBUH) open dialogue with the chiefs of Jews, their rabbi and scholars. He even visited their synagogues. On the other hand, he discoursed with Christians, either directly like the delegation of Najran, or through messages sent to their kings and leader. In addition, he (PBUH) concluded peace treaties with them.

In that way, this paper detailed the Prophet's religious, political and social dealings with the people of the Book. The paper is concluded by the concepts handled in the research and discussion. May Allah Grant us all His Success!

Keywords: Cultural Values - Prophetic Biography - Tolerance - People of the Book.

مخطط البحث:

يتكون البحث من تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة

أولا: التمهيد، ويشتمل على:

١- مفهوم التسامح

٢- مفهوم أهل الكتاب

٣- تأصيل التسامح

٤- ضوابط التسامح

٥- أهمية البحث وأسباب اختياره

٦- الدراسات السابقة

ثالثا: محتويات البحث :

المبحث الأول: التسامح الديني مع أهل الكتاب، وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول:- وصفهم بأهل الكتاب

المطلب الثاني: حرية تمسكهم بدينهم

المطلب الثالث: السماح لهم بالتحاكم إلى شرعهم

المبحث الثاني: الصلات الاجتماعية مع أهل الكتاب، وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: إباحة اكل أطعمتهم والزواج من نسائهم

المطلب الثاني: تبادل الزيارات معهم وعيادة مرضاهم.

المطلب الثالث: قبوله ﷺ لهداياهم .

المطلب الرابع: إكرامه ﷺ وفادتهم

المطلب الخامس : الدعاء لهم بالهداية

المطلب السادس: نماذج من عفوه ﷺ عمن اخطأ منهم في حقه

المطلب السابع: الإنصاف لهم في الحكم، وحماية أعراضهم .

المطلب الثامن: التعامل التجاري معهم بيعا وشراء بالضوابط الشرعية

المبحث الثالث:- الحوار معهم ودعوتهم إلى الإسلام، وفيه عدة مطالب

المطلب الأول: الحوار مع رجال دين من اليهود

المطلب الثاني: الحوار مع نصارى نجران

المطلب الثالث: الحوار مع أحبار اليهود والقساوسة

المطلب الرابع: الحوار مع عدي بن حاتم الطائي

المطلب الخامس: مراسلة ملوكهم

المطلب السادس: عقد المعاهدات مع أهل الكتاب.

خاتمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، سبحانه ويكافئ آلائه العميمه، ونعمائه الكثيرة التي لا يمكن حصرها ولا عدها ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ونبيه ومصطفاه' من خلقه' وخليله، شهادة أدخرها عند الله يوم ألقاه، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ﴿ وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين [١]﴾،[٢] والنعمة المسداة ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [٣]

أما بعد فيقول الله تعالى ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾ [٤]هذ كتاب الله ناطق بصدق وحق، وهذا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ [٥]يقول (ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه) [٦] وقال ﷺ : (إني بعثت بالحَنِيفيَة

---

[١] الأنبياء (١٠٧)

[٢] قال ﷺ : (لا يرحم الله من لا يرحم الناس). قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك منها وغير المملوك . شرح صحيح البخاري (٢١٩\٩)

[٣] سورة آل عمران: (١٦٤)

[٤] سورة فصلت: (٣٤)

[٥] سورة النجم: (٣)

[٦] الالباني، صحيح الجامع، رقم الحديث (٥٦٥٤) الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق

السمحة ...)[1] الرفق، واللين، والتيسير، والسماحة، واحترام الآخر، والتعايش والتعاون وقبول الآخر، وحفظ الكرامة الانسانية، كلها أصول أصيلة في حياة الرسول ﷺ القائل: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[2]

وإني استعين الله تعالى واسأله التوفيق والسداد في إبراز مظاهر تسامح الرسولﷺ مع أهل الكتاب ، وجاء عنوان البحث (من القيم الحضارية في السيرة النبوية تسامح الرسول صلى عليه وسلم مع أهل الكتاب) وقبل الولوج للموضوع والخوض فيه فقد بينت أهمية البحث وأسباب اختياره والدراسات السابقة' واتبعت ذلك بتمهيد يساعد في فهم الموضوع، وقد جاء على النحو التالي:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

هناك رافدان (مجموعات القتل والإرهاب، وبعض وسائل الإعلام الغربية) يسعيان بأفعالهما وأقوالهما لحجب صورة الإسلام الناصعة، إسلام التسامح والرحمة الإسلام الذي جاء به رسول الرحمة ﷺ وطبقه في أقواله وأفعاله، هذا الرحمة التي تجاوزت البشر لتصل إلى الحيوان والشجر

هذا وغيره يجعل من الضروري إشاعة النصوص من القرآن والسنة بين الناس لتكون سلوكا ومنهجا للمسلمين في التعامل مع المخالف ودحضا لحجج المتحاملين على الإسلام والملصقين به ما ليس منه تنفيرا من عدله وسماحته واستيعابه للجميع' وقوة تأثيره ووجاهة حجته .

---

[1] الروياني، مسند الروياني، رقم الحديث (١٢٦٦). الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق فريق من الباحثين بإشراف د. سعد بن عبد الله الحميد – ط. الأولى: ١٤٢٧-٢٠٠٦'رقم الحديث (٧٦١٨)

[2] البخاري، الأدب المفرد رقم الحديث (٢٧٣) . الحاكم، المستدرك (٦١٣/٢)

يقول سير توماس أرلوند:- " لم نسمع عن أي محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي " [١]

سادسا الدراسات السابقة:-

على الرغم من أن التسامح في الإسلام من الموضوعات التي كتب فيها الكثير والكثير [٢]إلا أني لم أقف على مؤلف أفرد تعامل الرسول ﷺ مع أهل الكتاب استيعابا وتحليلا، وبالتالي فإن هذا البحث في نظري سيسد ثغرة ويضيف لبنة في فهم كثير من الأمور التي نحتاج إليها في التعامل مع المخالف.

التمهيد:-

أولا: مفهوم التسامح لغة واصطلاحا

(١)- معنى التسامح في اللغة: مادة " سمح " في اللغة العربية، تدل على السلاسة، والسهولة، والمسامحة والمساهلة، وسامح بكذا أجاد به وأعطاه أو وافق على ما أريد منه .[٣]

---

[١] – الدعوة إلى الإسلام ز ص (٩٩)

[٢] انظر على سبيل المثال: عمر عبد العزيز قريشي\ سماحة الإسلام – الناشر مكتبة الأديب للنشر والترجمة – الرياض .ط ثالثة ١٤٢٦هـ – محمد عمارة – السماحة الإسلامية – الطبعة الأولى – القاهرة –

[٣] ابن فارس، مقاييس اللغة (٣/٩٩). ابن منظور، لسان العرب (٣/ ٩٩)

(٢)- السماحة في الاصطلاح: لها عدة معان:

الأول: بذل مالا يجب تفضلا[١]

الثاني: التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها، التي تتجلى في التيسير وعدم القهر [٢]

لفظ التسامح في القرآن الكريم:

إن كلمة التسامح لم ترد في القرآن الكريم، ولكن وردت كلمات مرادفة لها في المعنى والدلالة، وهذه الكلمات، هي:

(١)- الصفح: قال تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَة يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَة مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلا منهم فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ١٣﴾ المائدة: ١٣

(٢)- الصبر: قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ٤٣﴾ الشورى: ٤٣

(٣)- الاحسان: قال تعالى{ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين } البقرة: ١٩٥

(٤)- العفو: قال تعالى: { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين } الأعراف: ١٩٩

---

[١] الجرجاني، التعريفات (ص: ١٦٠)

[٢] موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، تأليف مجموعة من الباحثين – دار الوسلية – جدة ط:١- ١٤٣١هـ (٢٢٨٧/٦)

(٥)- البر: قال تعالى: { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوك من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين } الممتحنة: ٨

(٦)- المغفرة : قال تعالى: { ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور } الشورى: ٤٣

لفظ التسامح في السنة النبوية

ورد في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمْحَ البَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ، سَمْحَ القَضَاءِ»[١]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى عليه وسلم قال: (رحم الله عبدا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا اقتضى) [٢]

ومعنى (سمح البيع وسمح الشراء) متساهل غير مضايق في الأمور بيعا وشراء واقتضاء

وفي الحديث: .....ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا فِي النَّارِ: هَلْ تَلْقَوْنَ مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلًا، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ

---

[١] الترمذي (السنن: ٦٠٠\٢ – رقم الحديث: ١٣١٩-) وصححه الألباني. أبو يعلى الموصلي (المسند-١١٢\١١) (رقم الحديث: ٦٢٣٨). الحاكم\ المستدرك على الصحيحين (٤٢\٢) تحقيق مصطفى عبد القادر. ط. الأولى: ١٤١١- ١٩٩٠

[٢] البخاري (صحيح البخاري – رقم الحديث: ١٧٢١- ٢٠٧٦)

خَيْرًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُسَامِحُ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ (٢) ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْمِحُوا لِعَبْدِي كَإِسْمَاحِهِ إِلَى عَبِيدِي.[١]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنٌ يَطْرَبُ، فَقَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْأَذَانَ سَهْلٌ سَمْحٌ، فَإِنْ كَانَ أَذَانُكَ سَهْلًا سَمْحًا وَإِلَّا فَلَا تُؤَذِّنْ»[٢]

ثانيا: مفهوم أهل الكتاب لغة واصطلاحا:

(١)- مفهوم أهل الكتاب في اللغة:

مركب إضافي من كلمتين، (فأهل) تعني في اللغة (أصحاب) وتعريفها بإضافتها مثل (أهل الحديث) وأهل الرجل (عشيرته وقبيلته) (وزوجه وأولاده) وأهل الأمر (ولاته) [٣]

(والكتاب) من الكَتْب، وهو ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها. ، إذن أهل الكتاب أصحاب الكتاب، ويراد بالكتاب هنا (التوراة والإنجيل)[٤]

---

[١] احمد (المسند ١٩٥\١) – رقم الحديث: ١٥) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون – مؤسسة الرسالة– ط الأولى: ١٤٢١– ٢٠٠١

[٢] – الدارقطني ١ في السنن – باب تخفيف القراء لحاجة (٤٦١\٢)

[٣] ابن منظور، لسان العرب (٢٨/١١).– كتاب اللام– حرف الألف– . الفيروز ابادي، القاموس المحيط (٣٧٥/٣) باب اللام فصل الهمزة

[٤] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص:٣٦)

(٢)- مفهوم أهل الكتاب في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تحديد ما يدخل تحت هذا المصطلح القرآني وما لا يدخل فيه، وهذه أشهر أقوال أهل العلم في المسألة:

القول الأول: يدخل في هذا المصطلح كل من أعتقد دينا سماويا وله كتاب منزل مثل (صحف إبراهيم- الزبور. التوراة – الإنجيل..) وهو رأي الأحناف وبعض العلماء

القول الثاني: مصطلح أهل الكتاب خاص باليهود والنصارى، وهو رأي جمهور العلماء، ولعل هذا الراي هو الأقوى، وهو الذي عليه العمل عمليا لكون الكتب السابقة كالصحف والزبور لا وجود لها محفوظة ولا مكتوبة. [١]

وهذا المصطلح هو ما نقصده في هذا البحث، إذ يدور حول تعامل الرسول ﷺ مع اليهود والنصارى سلما لا حربا' إذ أن ما حدث من حروب كان هم من تسبب فيه' والدفاع عن النفس حق مشروع.

قال سفيان بن عيينه رحمه الله: [٢](إن رسول اللهﷺ هو الميزان الأكبر فعليه تعرض الأشياء على خلقه وسيرته وهديه فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل)[٣]

---

[١] ا ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد (١١٥/٢)

[٢] سفيان بن عيينة أبو محمد مولى بني هلال العالم الجهبذ الامام والمحدث ' قال الإمام الشافعي : لولا مالك وسفيان بن عيينه لذهب علم الحجاز. ولد في الكوفة (١٠٧هـ وتفي سنة ١٩٨هـ) البخاري\ التاريخ الكبير- ط. الأولى- دائرة المعارف الهند (٩٤١٤) رقم الترجمة؛ ٢٠٨٢

[٣] الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٧٩/١)

ثالثا: التأصيل الشرعي للتسامح والعدل

(١)- من القرآن الكريم

في القرآن الكريم نصوص كثيرة في ضرورة الإحسان إلى الناس في القول والعمل وإيجاب العدل معهم قال تعالى : { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى .. } [النحل:٩٠] وقال تعالى { وقولوا للناس حُسنا } [البقرة:٨٣] إلى غير ذلك من الآيات

(٢)- أما السنة ففيها الكثير من الشواهد على الإحسان والعدل مع غير المسلمين ، كما أن فيها عددا من النصوص التي تبين عاقبة الظلم، خاصة ظلم أهل الذمة ، وتوعد من ظلمهم بأن يكون رسول الله حجيجه يوم القيامة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة »[١]

وفي صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه كان يقول " أوصيكم بذمة الله فإنها ذمة نبيكم " وكان يقول: " أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا، أن يفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفوا فوق طاقتهم. "[٢]وكان العلماء والقضاة يسيرون على هذا النهج من النصح للخلفاء بأن يرفقوا بأهل الذمة ، فقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف قوله لأمير المؤمنين هارون الرشيد " وقد ينبغي يا أمير المؤمنين – أيدك الله – أن تتقدم في الرفق بأهل

---

[١] أبو داوود سليمان بن الاشعث اسنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية صيداء رقم الحديث: ٣٠٥٢

[٢] صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، الناشر دار طوق النجاة ط. الأولى (١٠٢١٢) رقم الحديث (١٣٩٢)

ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم."[١]

رابعا: ضوابط التسامح:

ا- التسامح لا يعني التنازل عن الثوابت والقيم الإسلامية بل إنه أصل أصيل من هذه الثوابت وهذه القيم، ولذلك فان التسامح مضبوط بالنصوص الشرعية بمنطوقها ومفهومها.

ب- التسامح لا يعني أن يترك كل من أراد إحداث فتنة أو بلبلة داخل المجتمع يفعل ما يشاء ويخطط كيف يشاء أيا كان مسلما، أو كتابيا أو غير ذلك تحت طائلة التسامح، فلا يمكن لدولة قديمة أو حديثة أن تسمح بمثل ذلك لا يمكن أن تسمح لمن يهدد امنها، أو ينخر في جسم وحدتها ببث الأفكار الخبيثة والتعاون مع الأعداء دون رادع، وكف شره، ولذلك فإن الرسولﷺ تعامل مع اليهود من خلال هذا المفهوم، فبنوا قينقاع هددوا الرسول ﷺ وقتلوا مسلما وسخروا من شعيرة من شعائر الإسلام، وبنوا النضير آووا ونصروا أعداء المسلمين وخططوا لقتل الرسول ﷺ أكثر من مرة، ويهود قريظة تعاونوا مع الأحزاب للقضاء النهائي على المسلمين.

ج- التسامح قبول الآخر وان اختلفت معه في عقيدته وقيمه، والتعايش معه في إطار الاحترام المتبادل، والتعاون المثمر

[١] أبو يوسف\ الخراج ص: ١٢٥

المبحث الأول: التسامح الديني

التسامح الديني أصل أصيل في الإسلام، قال الله تعالى { لا إكراه في الدين } البقرة: (٢٥٦) وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية أن رجلا من الأنصار له أبناء تنصروا قبل الإسلام، وعندما اسلم عرض عليهم الإسلام فرفضوا فاشتكاهم إلى رسول اللهﷺ ، فقال يا رسول الله (أيدخل بعضي النار وأنا أنظر) فانزل الله الآية.[١]

والتسامح الديني هو قبول الآخر بمعتقداته- والقبول ليس تزكية- قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } يونس (٩٩) وقبول الآخر في إطار التعايش الإنساني، والأخوة الإنسانية، في إ طار الاحترام المتبادل، والاعتراف بسنة الاختلاف { ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم } هود (١١٦) والاختلاف يعني التعايش وفق هذا الاختلاف، وقيل (اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية) .

[١] الواحدي أبو الحسن \ أسباب النزول (٥٤) وذكر في سبب نزلوها مواقف أخرى

المطلب الأول: وصفهم بأهل الكتاب (إنك تأتي قوما أهل كتاب) [1]

ذكر القرآن الكريم أهل الكتاب في آيات كثيرة،[2] وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله– [3]ان ذكرهم في القرآن الكريم جاء مقرونا بعدة اعتبارات، ومن ذلك:

أولا: ذكرهم في معرض المدح { الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به } البقرة:١٤٦ .

{ من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون }. آل عمران:١١٣

ثانيا: ذكرهم في معرض الذم فقط { ألم تر إلى أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينه ثم يتولى فريق منهم وهو معرضون } آل عمران: ٢٣

ثالثا: ذكرهم على سبيل الأمر أو النهي {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } آل عمران: ٦٤

ويخبرنا ﷺ عن المنهج في التعامل مع أهل الكتاب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية

---

[1] من حديث بعث معاذ – رضي الله عنه إلى اليمن – صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٤٩٦)

[2] (٣١مرة)

[3] ابن القيم \ مفتاح دار السعادة (١٠٤\١)

لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا ﴿ آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ البقرة : ١٣٦– [١]

ويقول صلى الله عليه وسلم مرغبا لهم في الاسلام (... وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي، فله أجران ...) [٢]

وقد تحدث الرسول ﷺ عن أهل الكتاب في مناسبات عدة على سبيل المدح، بل وكانﷺ يحب متابعتهم في مالم ينزل عليه فيه تشريع، لأنهم أقرب إلى الحق من المشركين . فعن عبد الله بن عباس– رضي الله عنهما– قال: " كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء "[٣]" ومن أمثلة ذلك:

١– (صيام يوم عاشوراء) لما قدم ﷺ المدينة وجد اليهود يصومونه فسألهم، فأخبروه بانه يوم نجى الله فيه موسى، (فأمر بصيامه) [٤]

٢– استقبال بيت المقدس، فعن البراء بن عازب – رضي الله عنه– قال: " إن النبيﷺ كان أول ما قدم المدينة ... صلى قبل بيت المقدس... وكانت اليهود قد أعجبهم إذ يصلي إلى بيت المقدس "[٥]

---

[١] صحيح البخاري، (٢٠١٦) مصدر سابق رقم الحديث: (٤٤٨٥).

[٢] صحيح البخاري، (٦١٧) رقم الحديث: ٥٠٨٣

رقم الحديث (٤٨١١)

[٣] صحيح البخاري ، رقم الحديث (٣٥٥٨) .

[٤] صحيح البخاري ، رقم الحديث: (٢٠٠٤)صحيح مسلم، رقم الحديث (١١٣٠)

[٥] صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٥٥٨)

٣- فعن ابن عباس رضي الله عنهما: " كان رسول الله ﷺ يسدل شعره.... وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم ...) [١]

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه المخرَّج في الكتب السته، قوله ﷺ لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه في حديث إرساله لليمن : (... إنك تأتي قوما أهل كتاب...)[٢] وفي هذا تنويه وتنبيه لمكانتهم العلمية، وانه ينبغي الاستعداد للتعامل معهم علما وسلوكا. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري: " هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان.... وإنما خصهم بالذكر تفضيلا لهم على غيرهم. " [٣]

ومن مظاهر احترامهم قول الله تعالى: { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن }العنكبوت: ٤٦

---

[١] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٥٥٨

[٢] صحيح البخاري، رقم الحديث (١٤٩٦) وكان في اليمن عند مبعث النبي ﷺ طوائف من اليهود والنصارى.

[٣] الحافظ، أحمد بن حجر، فتح الباري (٣٧٥١٣)

المطلب الثاني: حرية التمسك بدينهم

بعد استقرار الرسولﷺ بالمدينة، بدأ يضع الأسس لإقامة الدولة الإسلامية، فكان منها بناء المسجد الذي هو مكان تجمع جماعة المسلمين في خمس مرات لأداء أهم شعائر الإسلام بعد الشهادتين (الصلاة)، وللتعارف في ما بينهم، وليواسي بعضهم بعضا ، وفي خطوة تالية قام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهي خطوة لم يُسبق لها رسولﷺ دلت على مرونة الإسلام وواقعيته، وكان بموجب هذه المؤاخاة التوارث بين المتآخين، ثم نسخ بعد زوال مسببه، فبقيت الأخوة الإسلامية، وعاد التوارث لذوي الأرحام.

وفي خطوة أخرى في اتجاه إقامة الدولة، وتقوية جبهتها الداخلية؛ لتتفرغ للدفاع عن وجودها المهدد من كل جيرانها، قام أيضاﷺ بكتابة (الكتاب)[١] (دستور المدينة أوصحيفة المدينة) [٢] لتنظيم العلاقة بين سكان المدينة وتحديد الحقوق والواجبات والمرجعيات، وكان من ضمن سكان المدينة عند مقدم الرسول ﷺ مهاجرا ثلاث قبائل من اليهود[٣] وهم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وقد تم تخصيص مجموعة من المواد لتنظيم العلاقة

---

[١] وهذا الكتاب كتب قبل غزوة بدر على الراجح، وقد اشتمل على (٤٧) مادة جاءت في مصادر مختلفة من المصادر الإسلامية، وقد اشتملت هذه البنود على مجموعة من المفاهيم (تنوع المجتمع – ظهور دولة سياسية بقيادة الرسولﷺ– الاعتراف بحرية العقيدة– انصهار المجتمع القبلي في الدولة– اعتبار اليهود جزء من شعب الدولة حربا وسلم). انظر: وثيقة المدينة المضمون والدلالة/ أحمد قائد الشعيبي – كتاب الأمة–العدد ١١٠ السنة ١٤٢٦هـ (ص: ٣٥ ومابعدها)

[٢] وهو أول دستور عرفته البشرية، ويعرف بانه أيضا اول دستور مدني يستوعب الجميع ولا يقصي أي أحد بسبب عرقه أو دينه أو لونه.

[٣] توجد بعض المجموعات الأخرى من اليهود

مع اليهود بوصفهم من مواطني الدولة الإسلامية عليهم واجبات ولهم حقوق، فهي بنود متنوعة، نظمت شؤونهم الدينية والاجتماعية والسياسية، ومن تلك البنود (وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم)[١]

كما ترك الباب مفتوحا لكل من يريد الالتحاق بهذه المعاهدة من اليهود (وَأَنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنَ الْيَهُودِ، فَإِنَّ لَهُ الْمَعْرُوفَ وَالْأُسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرٍ عَلَيْهِمْ)،[٢] وقد اقرت هذه الوثيقة ببنودها المختلفة مفهوم الحرية الدينة بأوسع معانيها، وضربت أروع الأمثلة على عدم التعصب ومصادرة الآراء والمعتقدات، وما حدث بعد ذلك لليهود كان بسبب نقضهم العهود ونكثهم المواثيق وتعاونهم مع اعداء الدولة الإسلامية للقضاء عليها .

وفي تعامل الرسول ﷺ مع النصارى كان في غاية الاحترام على الرغم من انه عند قيام الدولة الاسلامية في المدينة لم يكن هناك أتصال مباشر مع النصارى، ولو تتبعنا مواقف الرسولﷺ مع النصارى، لوجدناها في غاية التسامح والاعتراف بهم وبدينهم، وقد كان موقف النصارى من الرسولﷺ ايجابيا كذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

---

[١] ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد ٥٨/٣)

[٢] إبن زجويه، حميد بن مخلد ، الأموال (٢/ ٤٦٦) تحقيق الدكتور شاكر ذيب فياض– الناشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية– السعودية، الطبعة الأولى:

١- اختيار الرسول ﷺ الحبشة، وهي مملكة نصرانية لتكون أول وجهة للمسلمين فرارا بدينهم من بطش كفار مكة قائلا لهم (إن بها ملكا عادلا لايظلم عنده أحد) [١]

٢- استبشار المسلمين بانتصار النصارى على الفرس، قال تعالى {ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله }الروم (١-٣)

٣- رسائله التي وجهها لكل من " هرقل" " المقوقس" و " النجاشي " يعترف لهم بفضائلهم وذلك بانتمائهم الى الديانات السماوية، ومعترف لهم بملكهم

٤- وفي صلح نجران من ضمن بنوده " ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة النبي محمد ﷺ على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيدهم من قليل أو كثير لا يغيب اسقف عن أسقفيته ولاراهب من رهبانيته ولاكاهن من كهانته .."[٢]

[١] ابن كثير\ السيرة النبوية (١\ ٤١٥)

[٢] ابن سعد\الطبقات (٣٥٧\١)

المطلب الثالث: السماح لهم بالتحاكم إلى شرعهم

ومن تمام عناية ديننا الحنيف بغير المسلمين أن سمح لغير المسلمين بالتحاكم إلينا أو إلى شرعهم، وفي ذلك غاية التسامح والمساواة، قال تعالى : { فإن جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين }المائدة:٤٢ كما أنهم لا يعاقبون إذا عملوا عملا يعتبر في ملتهم غير حرام

أخرج الإمام أبوداود- رحمه الله- في سننه – عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله ﷺ إلى القف[١] فأتاهم في بيت المدراس [٢] فقالوا: يا ابا القاسم إن رجلا منا قد زنى بامرأة، فاحكم قال- ووضعوا للرسولﷺ وسادة فجلس عليها- ، ثم قال "أتوني بالتوراة " فأتي بها فنزع الوسادة من تحته، ووضع التوراة عليها، وقال: " آمنت بك وبمن أنزلك ". ثم قال ائتوني بأعلمكم " ثم أتي بفتى شاب.... الحديث[٣]

ومحل الشاهد من الحديث هو قوله: (أتوني بالتوراة)

---

[١] – القف: بالضم والتشديد، أصله ما ارتفع من الأرض وغلظ وكان فيه إشراف على ما حوله، وقد تكون فيه رياض وقيعان وأحجار، وهو اسم على بعض أودية المدينة، وكانت به مساكن بنو ماسكة من اليهود. انظر:
السمهودي| وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى(١٣٤/٢)

[٢] – بيت المدراس: هو الموضع الذي يتدارس فيه اليهود كتبهم- المعجم الوسيط (باب الدال) ٢٨٠١١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

[٣] أبوداود، سليمان بن الأشعث، السنن (١٥٥/٤) وقد حسنه الألباني – رحمه الله

١- السماح لهم بدخول المسجد

المساجد أقدس الأماكن عند المسلمين{ وأن المساجد لله } وهي دور العبادة للمسلمين، وفي استقبال الرسولﷺ لغير المسلمين فيها دليل قاطع على التسامح الذي جاء به نبي الإسلامﷺ ولم يكتفي الرسولﷺ بمجرد الاستقبال

قال ابن إسحاق لما قدم وفد نجران على رسول اللهﷺ دخلوا عليه بمسجده بعد صلاة العصر فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في المسجد فقال رسول اللهﷺ (دعوهم) فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم [١]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد صح عن النبي ﷺ أنه استقبل نصارى نجران في المسجد وسمح لهم بالصلاة فيه[٢] وقد استنبط من هذه الحادثة، جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وفيه تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم...[٣]

وفي صحيح البخاري وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لقد رأيت رسول اللهﷺ على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم. [٤] وفي رواية ان ذلك كان يوم عيد

وفي هذا الحديث دليل على أن دين الاسلام دين انشراح وتسامح لادين غلظة وشدة، وجفاء وفي بعض طرق الحديث أن عمر بن الخطاب أراد ان

---

[١] ابن هشام، السيرة النبوية (٤٥١٢) . ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣٥٧/١)

[٢] ابن القيم، أحكام أهل الذمة (٣٩٧/١) ، وانظر له، زاد المعاد في هدي خير العباد (٥٤٩/٣)

[٣] ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٦٣٨/٣)

[٤] صحيح البخاري، رقم الحديث (٥١٩٠)

ينهاهم، فقال له الرسولﷺ : (دعهم لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة، وأني بعثت بالحَنِيفية السمحة)[1]

[1] الألباني\ صحيح النسائي، رقم الحديث: (١٥٩٥)

المبحث الثاني: الصلات الاجتماعية مع أهل الكتاب، وفيه عدة مطالب:

القاعدة الذهبية في التعامل مع غير المسلمين عموما قول الله تعالى { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين } الممتحنة (٨)[١]

أورد الامام الطبري – رحمه تعالى عدة أقوال في تفسير هذه الآية الكريمة حيث قال: " وقد اختلف أهل العلم في تفسيرها، فقال بعضهم... "[٢] وهذا مجمل تلك الأقوال التي ذكرها رحمه الله :

(١)قيل بان المقصود بهذه الآية، هم المسلمون الذين بقوا في مكة ولم يهاجروا، حيث أذن الله للمسلمين ببرهم والإحسان إليهم،

(٢)وقيل المراد المسلمون من خارج مكة الذين لم يهاجروا

(٣)وقيل خاص بمشركي مكة الذين لم يشاركوا في قتال المسلمين، ولم يخرجوهم من ديارهم.

(٤)وقيل بان الآية منسوخة [٣]

---

[١] الممتحنة: ٨

[٢] محمدبن جرير الطبري، اجامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٢٢\٢٣)

[٣] هذا بناء على آراء بعض الفقهاء الذين يقولون بان كل الآيات التي فيها رحمة وبر واحسان نسخت بآية السيف، وهو قول يصادم تعامل المبين الأول لمراد الله من كتابه الرسول ﷺ فقد كان رحيما بارا بالبشرية بل وبمخلوقات الله تعالى. صلى الله عليه وسلم.

وقد رجح الطبري رحمه الله تعالى " أن أولى الأقوال في ذلك ... عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتقسطوا اليهم "[١]

والبِرُّ: الخير، وهو الصِلة، وإسداء المعروف، والمبالغة في الإحسان، والبر التوسُّع في فعل الخير، والفعل المرضِي .

القسط: القسط هو تمام العدل، والقسط هو الهدف من إرسال الرسل والأنبياء وإنزال الكتب السماوية، يقول تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ} [٢] فإقامة الناس فى أى مجتمع للقسط والعدل هى إقامة لشريعة الله التى جاءت بها الرسالات السماوية فى كل عصر.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: " البر والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه"[٣]

روى البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر الصديق– رضي الله عنها قالت: (قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسولﷺ قلت: إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك ز) [٤]

---

[١] الطبري، جامع البيان (٣٢٢\٢٣)

[٢] الحديد: ٢٥

[٣] ابن حجر، فتح الباري (٢٣٣/٥)

[٤] صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٦٢٠)ز صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٠٠٣) انظر موقع الموسوعة الحديثية الإلكترونية. (الدرر السنية) المشرف العام: الشيخ علوي عبد القادر السقاف.

قال ابن القيم – رحمه الله في معرض حديثه عن تعامل الرسول ﷺ مع غير المسلمين: " فَكَانَ يُعَامِلُ الْجَمِيعَ بِإِحْسَانٍ؛ يَشْتَرِي مِنْهُمْ، وَيَسْتَعِيرُ، وَيَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ، وَيَسْتَعْمِلُهُمْ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ." [1]

المطلب الأول: إباحة اكل أطعمتهم والزواج من نسائهم

قال تعالي : { **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنين والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين** }[2]

في هذه الآية دليل صريح أن التعامل مع أهل الكتاب يصل إلى أعلى درجات الصلات الاجتماعية وهو (الزواج) الذي يترتب عليه وجود أرحام وأصهار واختلاط وتعايش مع أهل الكتاب، وكذلك جواز أكل أطعمتهم (إلا ما حرم شرعا) وكذلك إباحة ذبائحهم . وفي هذا دليل على أعلى درجات التسامح في الإسلام مع أهل الكتاب

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى : وقوله تعالى{ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم** } وذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى...

---

[1] ابن القيم – زاد المعاد في هدي خير العباد (١١ ٢١٥) دار الكتب العلمية بيروت

[2] المائدة (٥)

حلال لكم دون ذبائح سائر أهل الشرك الذين لاكتاب لهم من مشركي العرب وعبدة الأصنام والأوثان [١]

ويقول في قوله تعالى : { **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** } يعنى الحرائر من الذين أعطوا الكتاب من اليهود والنصارى الذين دانوا بما في التوراة والإنجيل من قبلكم، ايها المؤمنون بمحمدﷺ ... أن تنكحوهن [٢] وزواج الرسول صلى عليه وسلم من ثلاث اثنتان من اليهود[٣] وثالثة من النصارى وهي مارية القبطية وإن أسلمن قبل زواجه منهن، إلا ان لهن قرابات غير مسلمة، فإبراهيم ابن الرسولﷺ له أخوال في مصر حتى أن الرسول ﷺ قال استوصوا بهم خيرا، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول اللهﷺ " إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما، أو قال وصهرا ... [٤] قال النووي – رحمه الله " وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم " [٥] وقد تزوج بعض الصحابة – رضوان الله عليهم – من كتابيات منهم: عثمان بن عفان – رضي الله عنه– (نائلة بنت الفرائصة

---

[١] جامع البيان (٣٦٢١٨)

[٢] الطبري المصدر نفسه

[٣] صفية بنت حيي بن أخطب زعيم بن النضر تزوجها بعد فتح خيبر، والثانية ريحانة بنت شمعون القرظية

[٤] صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٥٤٣)

[٥] شرح مسلم للنووي (١٤ ٢٢٥)

الكلبية) وهي مسيحية[١] وحذيفة بن اليمان– رضي الله عنه– تزوج يهودية في خلافة عمر بن الخطاب وأنجب منها وطلحة بن عبيد الله – من يهودية من أهل الشام من قرية أريحا [٢]

المطلب الثاني: تبادل الزيارات معهم وعيادة مرضاهم:–

الرسول ﷺ جبل على الرحمة، فهو الرحمة المهداة، وهو الهادي الى الصراط المستقيم، وهو المأمور ﷺ بالتواصل مع الناس كافة { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون }[٣] وغيرذلك من الأدلة الكثيرة التي تدل على عموم رسالته ﷺ ومقتضى ذلك التواصل مع الجميع، وتواصل اتباعه ﷺ مع الجميع بالتي هي احسن.

أ– زيارة مرضاهم: كان ﷺ يعود مرضاهم ويتفقد أحوال من يعرفه معرفة خاصة من اليهود، فقد أخرج الإمام البخاري – رحمه الله– في صحيحه من حديث أنس بن مالك– خادم رسول اللهﷺ – أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي

---

[١] أسلمت نائلة بعد زواجها من عثمان، أنجبت من ثلاث بنات، حاولت الدفاع عنه يوم استشهاده، فقطعت أناملها، وظلت وفية لعثمان فلم تتزوج بعده.

[٢] النووي، المنهاج (١٨٧/٣). عبد الرزاق، المصنف(٧٩/٦) . ابن جرير الطبري، جامع البيان (٣٦٦/٤). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٨٣/١) .أبو عبيد القاسم بن سلام\ الناسخ والمنسوخ، القاسم بن سلام – تحقيق: محمد بن صالح المديفر – مكتبة الرشد ١٤١٨هـ (ص: ١٣٢)

[٣] سبا:٢٨

ﷺ في بيت والده يعوده، وجلس عنده ﷺ ثم قال له (اسلم) فنظر إلى أبيه وهو جالس عند رأسه فقال له أطع أبا القاسم، قال: فأسلم، قال: فخرج النبيﷺ وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار)[1]، وهنا يضرب النبي ﷺ اروع الأمثلة في التواضع والرحمة بخدمه وان كانوا من أهل الكتاب [2]، وحرصه على هدايتهم إلى الاسلام، كما ان أثر هذه الزيارة في نفوس اهل هذا البيت اليهودي لا توصف، ويلاحظ ذلك من خلال كلام والد الغلام (أطع أبا القاسم) واستجابة الغلام لدعوة الرسول ﷺ هكذا نبينا وهكذا ينبغي أن نكون، كما أمرنا المولى عز وجل { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن يرجو الله واليوم الآخر }

ب-قيامه لجنازة يهودي: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مرت بنا جنازة فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم وقمنا بها، فقلنا يارسول الله إنها جنازة يهودي قال اذا رأيتم الجنازة فقوموا لها. [3] وفي رواية أليس إنسانا .

---

[1] صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٣٥٦)

[2] وفي الحديث عيادة المريض ولو كافرا عسى أن يكون ذلك سببا في إسلامه .

[3] البخاري (صحيح البخاري، رقم الحديث: ١٣١١)

المطلب الثالث: قبوله ﷺ لهداياهم :

الهدية ما أتحفت به غيرك، وأعطيته له إكراما أو تودد [١] ودافع الهدية، إما حبا، أو احتراما، أو تقديرا، أو محاولة كسب ود المهدى له، وكانت هدايا أهل الكتاب للرسول ﷺ لا تخرج عن هذا السياق، فهي إما احتراما وتقديرا، أو تألفا، أو كسب ود الرسولﷺ، وقبول الهدايا من شيم الكرام، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول اللهﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها " [٢] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية ولا تضربوا المسلمين»[٣]، ومن هديهﷺ أنه لا يرد الهدية، وإذا ردها ذكر أسباب الرد كما في الهدية التي أهداها إليه الصعب بن جثامة حمارا وحشيا، فردها إليه وقال: "أما إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم " [٤] وقبول الهدية مرهون بكونها مباحة شرعا كما دل عليه الحديث، لأن المحرم يحرم عليه اكل صيد البر، قال الله تعالى: { **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما** }[٥]

روى الإمام أحمد وغيره عن علي بن أبي طالب– رضي الله عنه قال: " أهدى كسرى لرسول اللهﷺ فقبل منه، وأهدى له قيصر فقبل

---

[١] ابن منظور، لسان العرب (٣٥٧/١٥)

[٢] صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٥٨٥)

[٣] البخاري، الأدب المفرد (ص: ١٥٧) . احمد، المسند (١/ ٤٠٤)

[٤] صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٥٧٣). صحيح مسلم، رقم الحديث: (١١٩٣)

[٥] المائدة: (٩٦)

منـه، وأهـدت لـه الملـوك فقبـل مـنهم "[١] . قـال البيهقـي رحمـه الله تعالى " والأخبار في قبول هداياهم أصح وأكثر " [٢]

ومن أمثلة قبول الرسول ﷺ لهدايا أهل الكتاب:

(١) هدية النجاشي للرسولﷺ:-

ذكرت المصادر الإسلامية مجموعة من الهدايا التي بعث بها النجاشي إلى رسول الله ﷺ، وهذه الهدايا: " حلة من ضمنها خاتم من ذهب [٣] وقارورة طيب، وخفين، وثلاث عنزات[٤]

(٢)- هدية المقوقس للرسولﷺ

وارسل إليه المقوقس هدية مع رسول رسول الله ﷺ إليه حاطب بن أبي بلتعة، وكانت هذه الهدية عبارة عن جاريتين [٥] (ماريا أم ابراهيم- وسيرين – وبغلة، وفرسا، وحمارا، وعبدا، وعسلا، وعشرين ثوبا، وألف دينار، وخفين...) [٦]

---

[١] احمد، المسند (٩٦/١) البيهقي، السنن الكبرى (٣٦٢/٩)

[٢] البيهقي، السنن الكبرى (٣٩٢/٩)

[٣] اهداه ﷺ لأمامه بنت العاص، ابنت زينب بنت رسول اللهﷺ قائلا (تحلي بهذا يابنية)

[٤] العنزة: الرمح وقد اهدى الرسولﷺ ثنتين منهما واستبقى واحدة، وهي التي كان يمشي بها بلال أما الرسول ﷺ يوم العيد فيركزها أمامه، فيصلي إليها رسول اللهﷺ كسترة . انظر: ابوداود، السنن، رقم الحديث: (١٤٠٠) ز ابن ماجه، السنن، رقم الحديث (١٠٨٤)

[٥] وقيل اربع ، وقيل ثلاث

[٦] ابن كثير، السيرة النبوية (٢١٠١٢)

(٣)- هدية هرقل للرسول ﷺ :- ذكر السهيلي ان هرقل ارسل هدية إلى رسول اللهﷺ فقبلها ووزعها على أصحابه [١]

(١) أهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة وبعض الثياب فقبلهاﷺ منه ، وقد اهداه أكيدر دومة الجندل هدية فقبلها منه [٢]

(٢) وعن أنس بن مالك أن يهودية أهدت إلى الرسول ﷺ شاة مسمومة

المطلب الرابع: اكرامه ﷺ وفادتهم

قام الرسولﷺ بخدمة وفد الحبشة بنفسه على الرغم من محاولة الصحابة رضوان الله عليهم ان يتولوا ذلك عنه ﷺ ، فقالوا نحن نكفيك يا رسول الله، فقال: " إنهم كانوا لصحابنا مكرمين [٣] وإني أحب أن أكافئهم " [٤] كما اكرم وفد نصارى نجرن بل وبالغ في اكرامهم حيث سمح لهم بممارسة صلاتهم داخل مسجده ﷺ [٥]

---

[١] السهيلي، الروض الأنف (١١٥\٣)

[٢] صحيح البخاري، رقم الحديث: (٣٠١٧٧) .

[٣] يشير ﷺ الى اكرامهم للمهاجرين الذي فروا من مكة في السنة الخامسة من البعثة بدينهم

[٤] ابن كثير، السيرة النبوية (٣١/٢)

[٥] ابن هشام: السيرة النبوية ١٠٨/٢، وابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣٥٧/١، والبيهقي: دلائل النبوة ٣٨٢/٥، والكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ٣١١/١، وابن القيم: زاد المعاد ٥٤٩/٣، ٥٥٠.

المطلب الخامس : الدعاء لهم بالهداية

عن أبي موسى- الأشعري رضي الله عنه- قال: "كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ يرجون أن يقول لهم يرحمكم الله ، فكان يقول لهم: يهديكم الله ويصلح بالكم "[١] وذلك لمعرفتهم بإجابة دعوته وصدق رسالته وكمال رحمته وشفقته ومحبته للخير لكل المخلوقات' قال الله تعالى { وإنك لعلى خلق عظيم } القلم (٠٤) فقد كان صلى الله عليه وسلم (خلقه القرآن) كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن أخلاقه[٢] وفي الحديث دليل على استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود في بيته.

المطلب السادس: العفو عمن أساء منهم إليه ﷺ

العفو، هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصل العفو المحو والطمس، فكأن العافي يمحو ويطمس آثار الإساءة عليه، حتى لايبقى لها أثر في نفسه، ولافي نفس من أساء إليه [٣]

العفو من شيم الكرام، ورسولناﷺ أكرم من وطأ الثرى، ولم ينتقم ﷺ لنفسه، وإذا انتقم فإنما ينتقم لله وفي الله، فعن عائشة – رضي الله عنها- قالت: دخل رهط من اليهود على رسول اللهﷺ فقالوا: السَامُ [٤] عليك، ففهمتها فقلت: عليكم السام واللعنة، فقال رسول اللهﷺ "

---

[١] الترمذي، السنن، رقم الحديث: (٢٧٣٩)

[٢] الالباني\ صحيح الجامع' رقم الحديث (٤٨١١)

[٣] الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٥٧٤- بتصرف

[٤] السام: الموت، فيدعون على الرسول ﷺ به.

مهلا يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله " فقلت يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول اللهﷺ: " فقد قلت وعليكم " [١] وفي رواية " يَا عَائِشَةُ، لَمْ يَدْخُلِ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ " [٢]

وفي رواية لأنس ابن مالك رضي الله عنه، أن يهوديا مر بالرسول ﷺ فقال: السَام عليك، فقال من كان حاضرا ألا نقتله يا رسول الله، فقالﷺ "لا" [٣] وفيهم وامثالهم نزل قول الله تعالى { وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله }[٤]

ومن أمثلة عفوه ﷺ عن اليهود في حق نفسه أنه بعد انتصاره في غزوة خيبر على اليهود، ومصالحته لهم، وترك الارض عندهم يحرثونها مقابل مخصص للدولة الإسلامية، واعتبارهم مواطنين من مواطني الدولة الإسلامية، على الرغم من الدسائس التي حاكوها ضد الدولة الإسلامية، والتي ترق إلى جرائم حرب[٥] عفا عنهمﷺ، ومع ذلك يحاولون قتله بتخطيط من رجالاتهم، وكانت أداة التنفيذ

---

[١] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٦٢٥٦، صحيح مسلم، رقم الحديث: ٢١٦٥ . وسنن الترمذي، رقم الحديث:٢٧٠١

[٢] مسند الامام أحمد، رقم الحديث: ١٣٥٣١

[٣] صحيح البخاري، حديث رقم: ٦٩٢٦

[٤] اسحاق بن راهويه/ المسند، رقم الحديث: ١٤٥٥

[٥] جرائم الحرب: مصطلح حديث، ويقصد به الانتهاكات بحق الانسانية، ومنها (التآمر، والحصار...) وقد شارك يهود خيبر في التآمر على المسلمين، في غزوة الأحزاب، وتحريض بني قريظة ضد المسلمين، والمساهمة في حصار المسلمين في غزوة الأحزاب.

هدية، حيث عرف عنه أنه " كانﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها "[١] وذلك جبرا لخاطر المهدي، فما لا تقبله النفوس رد هداياها .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ امْرَأَةً، مِنَ الْيَهُودِ أَهْدَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شَاةً مَسْمُومَةً، قَالَ: «فَمَا عَرَضَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[٢] واسمها زينب بنت الحارث، وقد ارسل لها الرسول ﷺ يسالها عن الدافع لجرمها، فأخبرته بانه ان كان نبي فإنها لن تسلط عليه [٣]، وان كان غير ذلك أراحت الناس منه [٤] كما اعترف من كان ورائها من الرجال، ومع ذلك فقد عفا ﷺ عن الجميع[٥] كما تعرض ﷺ مرة أخرى لمحاولة قتله أو أذيته بالسحر، فقد سحره لبيد بن الأعصم اليهودي ، وكان خادما لرسول الله ﷺ [٦] في مشط لرسول الله ﷺ وبعض شعره ، وكان ذلك مقابل ثلاث دنانير بطلب من بعض زعماء اليهود الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر[٧]، وقيل بان الذي سحر رسول الله ﷺ أخوات لبيد

---

[١] صحيح البخاري، رقم الحديث:

[٢] أبوداود، السنن، رقم الحديث:٤٥٠٦ . أحمد، المسند، رقم الحديث: ٢٧٨٤

[٣] لحم الشاة اخبر الرسولﷺ بانه مسمم، وقد سبقه بالأكل بشر بن البراء فتوفي شهيدا – رضي الله عنه

[٤] احمد، المسند، رقم الحديث: ٢٧٨٤ من حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما–

[٥] صحيح البخاري، حديث رقم: ٣١٦٩

[٦] البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوية (٩٢/٧) باب الرقية بكتاب الله عز وجل

[٧] ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٥٢/٢)

[١] حتى كان ﷺ يجد اثر ذلك السحر في علاقته مع أهله خاصة[٢] وقد اعترف لبيد بذلك، ولما سأله الرسولﷺ عن الدافع وراء ذلك، قال حب الدنانير [٣] وقد عفى ﷺ عنه[٤] قالت عائشة- رضي الله عنها: معلقة على عفوه عن صاحبة الشاة المسمومة، وصاحب السحر الذي سحره (ولقد عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اثنين ما عفا أحد قط عن مثلهما)[٥]

كان ﷺ اذا أتاه صاحب حاجة قضاها له وإن لم يكن عنده شيء استدان حتى يعطيه طلبته، فكان ﷺ لا يرد سائلا [٦] ، وقد استدان ﷺ من رجل من اليهود اسمه زيد بن سنعة دينا الى أجل، ولكن اليهود جاء قبل حلول أجل دينهٌ قال جَذَبْتُ بُرْدَيْهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى سَقَطَ عَنْ عَاتِقِهِ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ بِوَجْهٍ جَهْمٍ غَلِيظٍ فَقُلْتُ: أَلَا تَقْضِينَنِي يَا مُحَمَّدُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمُطْلٌ، وَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ. قَالَ زَيْدٌ: فَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَى بِبَصَرِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ؟ وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى؟ وَتَقُولُ مَا أَسْمَعُ؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أَخَافُ فَوْتَهُ لَسَبَقَنِي رَأْسُكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[١] ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٥٢/٢)

[٢] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٥٧٦٣

[٣] ابن سعد، الطبقات الكبرى (١٥٢/٢)

[٤] صحيح البخاري، (١٠١/٤)

[٥] عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري / شرف المصطفى (٤/ ٥٣٥)
الناشر: دار البشائر الإسلامية – مكة – الطبعة: الأولى – ١٤٢٤ هـ

[٦] أبو الشيخ الاصفهاني، أخلاق الرسولﷺ (٤٧٥/١)

وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي تُؤَدَةٍ وَسُكُونٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: لَأَنَا وَهُوَ أَحْوَجُ إِلَى غَيْرِ هَذَا، أَنْ تَأْمُرُنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ اتِّبَاعِهِ.[1] وكان لهذا الموقف منه ﷺ الأثر في اسلام زيد بن سنعة– رضي الله عنه. فقد اسلم وحسن اسلامه وكان من احبار اليهود' وذكر الطبراني وغيره عن زيد أن هذا التصرف كان لاختبار صبر النبي صلى الله عليه وسلم' قال : (والله ما منشيئ من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه الرسول ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم اعرفهما فيه الأولى: يسبق حلمه جهله' والثانية لا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما ....

ولذلك لما رأى من الرسول ﷺ ما رأى بعد هذا الامتحان أعلن إسلامه – رضي الله عنه.

المطلب السابع: الإنصاف لهم في الحكم، وحماية أعراضهم .

جاء الإسلام بالعدل والإنصاف في القول والعمل، قال تعالى: { يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } [2]

كان اليهود يتحاكمون إلى الرسولﷺ لمعرفتهم بعدالته، فعن أبي سعيد الخدري– رضي الله عنه قال بينما رسول اللهﷺ جالس جاء يهودي، فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك فقال من قال رجل من الأنصار. قال: (ادعوه) فقالَ: أضَرَبْتَهُ ؟ .قال سمعته بالسوق يحلف

---

[1] ابو الشيخ الاصفهاني، أخلاق النبي ﷺ (١/ ٤٧٦). أبو نعيم، دلائل النبوة (٩١/١). البيهقي، دلائل النبوة (٣٨/١)

[2] المائدة (آية: ٨)

والذي اصطفى موس على البشر قلت أي خبيث على محمد صلى الله عليه وسلم فاخذتني غضبة ضربت وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تخيروا بين الأنبياء.....[1]

سرق رجل مسلم من الأنصار يدعى بشير بن أبيرق درعا من جار له مسلم وأودعها لرجل من اليهود، واسمه ز يد بن السمين ثم اتهم صاحب الدرع اليهودي بسرقتها لأنها وجدت عنده، وهو دليل كاف على إدانته (والرسول ﷺ يحكم بناء على الأدلة) فكاد أن يحكم على اليهودي ، فانزل الله تعالى براءة اليهودي، ثم قام الرسول ﷺ أمام الملا معلنا براءة اليهودي، وأن الذي سرق هو المسلم.[2]

وقد قتل أحد أصحاب رسول الله ﷺ، وهو عبد الله بن سهل في خيبر، وسكانها من اليهود ولم يتبين تحديد القاتل، فلم يعاقبهم الرسول ﷺ ودفع الدية مائة ناقة من بيت مال المسلمين .[3]

وفي معاهدات الرسول ﷺ مع يهود المدينة، ونصارى نجران بنود تدل على أن كرامتهم مصانه فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم من الحقوق والواجبات وجميع الكتب التي كتبها رسول الله ﷺ لليهود والنصارى شاهدة على ذلك، ومن الامثلة:

---

[1] صحيح البخاري، رقم الحديث: (٢٢٨١) . صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٣٤٧)

[2] انظر سبب نزول { نَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً....} النساء: الآية – ١٠٥

[3] ابن سعد / الطبقات الكبرى (٢/ ٢٤٩)

(١)- أهل مقنا: [١]... إنه لا ظلم عليكم ولا عدوان، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيركم مما يجير منه نفسه .... وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم [٢]

(٢)- صلح أهل نجران:- ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وغيرهم، وبعثهم، لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم وأمثلتهم، لا يفتن أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا واقه من وقاهيته[٣]، على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس عليهم رهق [٤]ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، من سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين بنجران، ومن أكل منهم ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر، ولهم على ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي أبدا حتى يأتي أمر الله، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم، غير مكلفين شيئا بظلم.....[٥]وهذه النصوص وغيرها تدل عمليا على ما كان يتمتع به أهل الكتاب من الاحترام وعدم المضايقة لهم لا دينيا ولا اجتماعيا ولا سياسيا ولا اقتصاديا.

---

[١] مقنا مدينة ساحلية تقع على خليج العقبة تابعة لإمارة تبوك بالمملكة العربية السعودة

[٢] ابن سعد/ الطبقات الكبرى (٢١٢/١) . ابن عساكر/ تاريخ دمشق (١٢/ ٣٣١)

[٣] الواقه: ولي العهد بلغتهم

[٤] الرهق: غشيان مايكره

[٥] البيهقي/ دلائل النبوة (٣٨٩/٥). محمد بن علي بن حديده / المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (١٨٩/٢). الصالحي، محمد بن يوسف/ سبل الهدى والرشاد (٤٢٠/٦)

المطلب الثامن: التعامل التجاري معهم بيعا وشراء

عندما قدم رسول اللهﷺ المدينة مهاجرا، وجد الثقل الاقتصادي فيها لليهود، فهم أصحاب الصناعات التقليدية، وهم أصحاب الأسواق، وقد كان ﷺ وأصحابه، والمجتمع اليثربي، كلهم يعيشون في وئام المسلم واليهودي والمشرك، فالكل يحترم للثاني دينه وخصوصيته، وقد كان ﷺ يبيع ويشتري من اليهود، وقد مر معنا أخذه سلفة من زيد بن سنعة، وفي حديث لعائشة رضي الله عنها مخرج في الصحيحين[1] أن رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند يهودي طعاما لأهله ﷺ .[2] وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بعد فتحها لليهود أن يزرعوها ولهم شطر ثمارها' لقد كانت أسواق اليهود بالمدينة تستقبل المتسوقين من المسلمين بيعا وشراء' كما كان صلى الله عليه وسلم يذهب لأسواق اليهود يدعوهم للإسلام.

---

(١)

(٢) ابن ماجه/ السنن (٢/ ٨١٥) .ابن ابي شيبه/ المصنف (٢٧٢/٤) . الامام أحمد/ المسند،(رقم الحديث: ٢٧٥٦٥)

المبحث الثالث: الحوار معهم ودعوتهم إلى الإسلام وفيه عدة مطالب

المطلب الأول: الحوار مع رجال دين من اليهود

على الرغم من مد الرسول ﷺ يد التعاون مع اليهود، واحترامهم لكونهم أهل كتاب، مع ما كان يأمله أن يجد منهم المؤازرة والمتابعة، لكونهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال الله تعالى: { **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** } [1] ولأنهم يؤمنون بنبوة بعض الأنبياء، فمبدأ الإيمان بالأنبياء ليس غريبا عليهم، بل إن بعض من قدم من اليهود إلى يثرب كان بحثا عن مكان مهاجر آخر الأنبياء، كما يذكر ذلك المؤرخون، وتصف أم المؤمنين صفية بنت حيي – رضي الله عنها– موقف والدها زعيم بن النضير، فتقول كما في السيرة " ... سمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي أهو هو؟ قال: نعم والله قال: أتعرفه وتثبته ؟ قال: نعم قال فما هو موقفك منه، قال: معاداته ما بقيت " [2].

وكان ممن تحاور معهم ﷺ ا أحبارهم وزعماءهم' والأمثلة على ذلك كثيرة' ومنها على سبيل المثال حواره مع عبد الله بن سلام (الحبر) الذي أعلن إسلامه' وكذلك حوارهم معهم حول عقوبة الزاني في ملتهم' والإجابات على أسئلتهم.

---

[1] البقرة: (١٤٦) . الطبراني/ المعجم الكبير (رقم الحديث: ٤٤٤) الموسوعة الحديثية – تقدم التعريف بها

[2] ابن هشام، السيرة النبوية (٥١٧/١)

المطلب الثاني: الحوار مع نصارى نجران[1]

قدم وفد من نصارى نجران وكان الوفد يتكون من ستين راكبا وفيه ساداتهم وهم:

(١)- العاقِبُ أميرُ القوم، وذو رأيهم، وصاحِبُ مشورتهم، والذي لا يَصْدُرون إلا عن رأيه وأمره، واسمُه عبد المسيح.

(٢)- السيد: ثِمالُهم[2]، وصاحِبُ رَحْلهم، ومجتمعهم، واسمه الأيهم.

(٣)- وأبو حارثة بن علقمة أخو بنى بكر بن وائل أُسقُفهم وحَبْرُهم وإمامُهم، وصاحِبُ مِدْرَاسِهِم.

وقد دعاهم الرسولﷺ إلى الإسلام وحاورهم في بعض القضايا العقدية والفكرية، ومنها:

(١)- دعاهم إلى الإسلام فقالوا إنهم مسلمون فكذبهم ﷺ وقال يمنعكم من أن تكونوا مسلمين ثلاثا: (عبادة الصليب، القول بان لله ولدا، وأكلكم الخنزير.)

(٢)- قالوا له ما تقول في عيسى، فانزل الله إليه قوله تعالى: { إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعدك ما جاء من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم

---

[1] نجران: تقع في جنوب المملكة العربية السعودية، وقيل سميت بنجران بن زيد بن يعرب . ياقوت الحموي\ معجم البلدان (٤ \ ١٢٩٨)

[2] الثمال بالكسر: الملجأ والغياث .

نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين }[1] فخافوا من المباهلة' وهي (نجتهد في الدعاء أن الذي جاء به محمد هو الحق، هو العدل، وأن الذي تقولون هو الباطل، وقال لهم إن الله قد أمرني إن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم، قالوا: يا أبا القاسم يا أبا القاسم نرجع إلى ديننا وندعك ودينك..)[2] وطلبوا منه العهد، فعاهدهم ﷺ وكتب لهم بذلك كتابا بالأمان، وقبولهم كرعايا من رعايا الدولة الإسلامية فشرط لهم وعليهم[3]

المطلب الثالث: الحوار مع أحبار اليهود والقساوسة

اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ، وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَى: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا نَصْرَانِيًّا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: { يَا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ، وَما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أفلا تعقلون } [4] فَقَالَ أَبُو رَافِعٍ الْقُرَظِيُّ [5]حِينَ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ النَّصَارَى وَالْأَحْبَارُ فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ

---

[1] آل عمران: (٥٩- ٦١)

[2] أبو نعيم، دلائل النبوة (١/٣٥٤). البيهقي، دلائل النبوة (٥/ ٣٨٢)

[3] البيهقي، دلائل النبوة (٥/ ٣٨٣)

[4] وكان حجاجهم فيه: ادّعاءُ كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم، وأنه كان يدين دينَ أهل نِحْلته. فعابهم الله عز وجل بادِّعائهم ذلك، ودلّ على مُناقضتهم ودعواهم، فقال: وكيف تدَّعون أنه كان على ملتكم ودينكم، ودينُكم إما يهودية أو نصرانية، واليهودي منكم يزعُم أنّ دينه إقامةُ التوراة والعملُ بما فيها، والنصراني منكم يزعم أنّ دينه إقامةُ الإنجيل وما فيه، وهذان كتابان لم ينزلا إلا بعد وفاة إبراهيم عليه السلام . انظر تفسير الطبري – سورة آل عمران' الآية: ٦٥

[5] أبو رافع: هو سلام بن أبي الحقيق اليهودي

أَتُرِيدُ مِنَّا يَا مُحَمَّدُ أَنْ نَعْبُدَكَ كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ نَصْرَانِيٌّ، يُقَالُ لَهُ الرَّبِّيسُ [1]: وَذَلِكَ تُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ، وَإِلَيْهِ تَدْعُو؟ أَوْ كَمَا قَالَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم: مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ أَوْ آمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي وَلَا أَمَرَنِي، فَأَنْزَلَ اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا: {مَا كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ، وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْباباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [2]وبذلك يكون الرسول ﷺ لم يترك بابا لإقناعهم بالحجة والبرهان إلا استخدمه؛ ولكن من اخطر الأمور التي تحجب الإنسان عن الحق الحسد والعناد' فهم { يعرفونه كما يعرفون أبناءهم }.

المطلب الرابع: الحوار مع عدي بن حاتم الطائي

عدي بن حاتم الطائي زعيم من زعماء قبيلة طي، وأبوه مشهور بالكرم، وقد اطلق رسول الله ﷺ سفانة بنت حاتم من الأسر لكرم والدها وزودها لتعود إلى أهلها آمنة . يقول عدي بن حاتم: " بعث رسول الله ﷺ حين بعث فكرهته اشد ما كرهت شيئا قط " وذلك لأنه ملك على قومه، فشعر بالخطورة على ملكه، ولأنه كان نصرانيا فلا يرى الحق إلا هي.

كانت لقبيلة طي مواقف معادية للدولة الإسلامية في المدينة حاربتها وشاركت في حروبها، وقد فر عدي إلى الشام هربا من المسلمين بعد

---

[1] الربيس: ربيس السامرة هو كبيرهم

[2] آل عمران: (٧٩). وانظر عن هذا الحوار، ابن هشام، السيرة النبوية (٢١٥\٢) . البيهقي، دلائل النبوة (٣٨٢/٥)

الانتصارات التي حققوها في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، وقد أسرت أخته في من اسر من نساء طي، وقد حدثت أخاها عدي عن التعامل الكريم الذي عاملها به الرسولﷺ وأقنعته بالذهاب إلى رسول الله ﷺ ، قدم عدي إلى رسول الله ﷺ وقد تأثر بمجموعة من مواقف الرسول ﷺ معه، ومع أخته سفانه فكانت هذه المواقف سببا في إسلامه :

ا- استقبال الرسول ﷺ له بالحفاوة والتكريم على الرغم من الحروب التي شنها على المسلمين

ب – تواضع الرسولﷺ ورفقه ورحمته بضعفة المسلمين وذوي الحاجة

ج – ما رآه في بيت الرسول من مظاهر لا تدل على أنه ملك

د- حديث الرسولﷺ معه في دينه وعلمهﷺ بأدق تفاصله

هـ – إخباره لعدي بانه يخالف دينه ويرتكب ما يحرمه

و- إخباره ﷺ لعدي عن مستقبل الدين الإسلامي من التمكين والعز والنصر

كل هذه الأسباب أدت إلى أن يعلن عدي إسلامه لله رب العالمين، وقد جاء ذلك كله في حديث طويل عن عدي بن حاتم بعضه مخرج في الصحيحين والسنن وفي السير.[١]

[١] انظر على سبيل المثال سنن الترمذي، رقم الحديث (٢٩٥٣) موسوعة الدرر السنية الإلكترونية

المطلب الخامس: مراسلة ملوكهم

ومن مظاهر التسامح مع أهل الكتاب الدعوة إلى كلمة سواء' وهي البحث عن القواسم المشتركة بين رسالة الرسولﷺ والرسالات السابقة التي يدعون أنهم يؤمنون بها' كما أن فيها إخبارا منه صلى الله عليه وسلم بعالمية رسالته وأنها للبشر كافة { **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا** } [1] 'قل يا محمد للناس كلهم إني رسول الله إليكم جميعا لا إلى بعضكم دون بعض كما كان حال الرسل من قبلي. وقد ثبت في السنة النبوية ووقائع السيرة النبوية أن رسول ﷺ راسل الملوك والأمراء[2] فعن انس بن مالك رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى. [3] وقد حدد أصحاب السير بداية تلك المراسلات بأنها كانت بعد صلح الحديبية [4] الذي وُقِع بين الرسول ﷺ وقريش للهدنة بينهم عشر سنين، وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة، وكان ملوك وأمراء أهل الكتاب، والنصارى خاصة.

وقال الزهري: كانت كتب النبي ﷺ إليهم واحدة؛ يعني نسخة واحدة، وكلها فيها هذه الآية{ قل يا أهل الكتاب ...} وهي من سورة آل عمران، وهي

---

[1] الأعراف: (١٥٨)

[2] صحيح مسلم' رقم الحديث (١٧٧٣) موسوعة الدرر السنية – تقدمت الإشارة إليه أكثر من مرة

[3] صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٧٧٤)موسوعة الدرر السنية

[4] ابن هشام، السيرة النبوية (٢١٥\٢)

مدنية بلا خلاف فإنه من صدر السورة، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران[١]

أولا كتابه إلى هرقل:-

هرقل (لقب لملك الروم) حمل الرسالة إليه، دحية الكلبي ، ونص الرسالة كما في الصحيحين (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أمابعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين[٢] ، فإن توليت فعليك اثم الأريسيين [٣] و { يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلاالله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } [٤]

موقف هرقل من كتاب الرسول ﷺ :-

١ – بعد استلام الكتاب أمر جنده بالبحث عن القادمين من مكة فوجدوا تجارا من قريش وفيهم أبو سفيان ليسألهم عن الرسولﷺ واختار أبا سفيان لكونه اقربهم نسبا إليه، وطلب من التجار أن يردوا عليه إن كذب، وبعد الحوار والأجوبة على الأسئلة ، قال مخاطبا لابي سفيان " فإن كان ما تقوله حق فسيملك ما تحت

---

[١] ابن كثير، البداية والنهاية (٣/ ١١٥)

[٢] في الدنيا :البقاء في ملكك' وفي الآخرة مظفرة من الله ورضوان

[٣] أتباعه ورعاياه

[٤] صحيح البخاري، رقم الحديث: (٧). صحيح مسلم، رقم الحديث (١٧٧٣) موسوعة الدرر السنية

قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظنه منكم، فلو علم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه" [١] .

وقد تأثر أبو سفيان زعيم قريش حامل لواء محاربة الرسول ﷺ ، وقال: " لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة – يقصد الرسول ﷺ– " إنه ليخافه ملك بني الأصفر "[٢]

٢- يلاحظ أن هرقل كان مستعدا تماما للإسلام لمعرفته التامة بصدق الرسولﷺ وأنه هو النبي الذي كان قد عرفه من خلال معرفته بالإنجيل، قال مخاطبا لسفير الرسولﷺ إليه دحية الكلبي: " والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل وأنه هو الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، ولا كني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لأتبعته "[٣]

٣ – وفي رواية أخر أنه استدعى الأسقف الأكبر للرومان وعرض عليه الكتاب، فلما قرأه، قال: " هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر" فأعلن إسلامه، ودفع حياته مقابل إسلامه، أما هرقل فقد خاف على نفسه وملكه، فقال: " أعرف أنه نبي ولكني لا أستطيع ذلك فان فعلت ذهب ملكي، وقتلني الروم " [٤]

---

[١] صحيح البخاري، حديث رقم (٧) موسوعة الدرر السنية

[٢] صحيح البخاري، رقم الحديث (٤٢٧٨) صحيح مسلم، رقم الحديث: (١٧٧٣

[٣] ابن كثير، السيرة النبوية (٥٠٤\٣)

[٤] ابن كثير، السيرة النبوية (٥٠٥/٣)

٤ وفي رواية أنه جمع رجال الدين والسياسة في دولته، وخاطبهم قائلا " يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت لكم ملككم، وتتبعون ما قال عيسى بن مريم، قالت الروم، وما ذلك أيها الملك ؟ قال: تتبعون هذا النبي العربي. فصاحوا وتناخروا، ورفعوا الصليب تعبيرا عن رفضهم، فلما رأى ذلك منهم، قال: " إنما قلت لكم ما قلت لأختبركم كيف صلابتكم في دينكم ..."

٥ ارسل مع دحية بعض الهدايا للرسول ﷺ وعلى الرغم من معفرته بصدق النبي ﷺ وانه سيملك ما تحت قدميه، قام بتجهيز الجيوش لمحاربته، مرورا بمؤته وتبوك ...

ثانيا كتابه للمقوقس:

المقوقس حاكم مصر :- بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعوة الإسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين { يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } [١]

موقف المقوقس من كتاب رسول الله ﷺ :

١- سال المقوقس حامل كتاب الرسول ﷺ إليه حاطب بن أبي بلتعه، قائلا: ما منع صاحبك إن كان نبيا أن يدعو على من أخرجوه

[١] ابن هشام\ السيرة النبوية (٢٤٧\١)

من بلده... فقال حاطب: وما منع عيسى أن يدعو على أولئك الذين تآمروا عليه ليقتلوه.... فقال المقوقس أنت حكيم جئت من عند حكيم.

٢- بعث المقوقس بجارتين مارية، وسيرين، وبغلة وملابس وطيب، وقيل ارسل طبيبا فرده ﷺ قائلا: " نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع "

ثالثا: كتابه إلى النجاشي : -

النجاشي، لقب لملك الحبشة، وفي المصادر الإسلامية توجد ثلاث رسائل موجهة إلى النجاشي، ولعلها أرسلت في أوقات مختلفة، فالرسالة الأولى كان يحملها جعفر بن أبي طالب' ومن معه من مهاجرة الحبشة في السنة الخامسة من البعثة، والثانية هي التي أرسلها ﷺ مع رسائله إلى الملوك والأمراء، والثالثة أرسلها بعد وفاة النجاشي اصخمه(مكرم المهاجرين، والمسلم) موجهة إلى من تولى الملك بعده .

عن ابن إسحاق قال: «هذا كتاب من رسول الله ﷺ إلى النجاشي الأصخم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فأسلم تسلم. { يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا

أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك» [١]

موقف النجاشي من الكتاب:

١- اعلن إسلامه أمام رسول رسول اللهﷺ عمرو بن أمية الضمري

٢- بعث الى الرسول ﷺ وفدا بقيادة ابنه أريحا معلنا استعداده للذهاب إلى الرسول ﷺ إن أمره بذلك

٣- ارسل رسالة إلى رسول الله كرد على رسالته، معلنا فيها إسلامه وإكرامه للمهجرين

المطلب السادس:عقد المعاهدات[٢] مع أهل الكتاب:-

(١)- المعاهدة مع اليهود (وثيقة المدينة)

هذه هي الوثيقة السياسية التي وضعها الرسول محمد ﷺ، والتي تقرر حرية العقيدة وحرية الرأي وحرمة المدينة وحرمة الحياة وحرمة المال وتحريم الجريمة[٣] (وبذلك سبق النبي صلى الله عليه وسلم إلى تقرير حقوق الإنسان من هذا الزمن البعيد. وقرر فيها أيضا تحريم الجريمة والإثم والغدر والخديعة) [٤] هذه الوثيقة بينت أن سكان المدينة متساوون في الحقوق

---

[١] ابن هشام، السيرة النبوية (٢٩٢\٢) . البيهقي، دلائل النبوة (١١٥\٢)

[٢] المعاهدات، جمع معاهدة، والمعاهدة هي: كل ما عوهد عليه وهو المواثيق والعهود وقد أمر الله تعالى بالوفاء بها فقال { وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا }

[٣] محمد حسنين هيكل، حياة محمد (ص: ١٥٠)

[٤] محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٨/٢)

والواجبات مهاجريهم، وانصاريهم، ويهوديهم ،كما وحدت المرجعية [1]للدولة الجديدة، وهو محمدﷺ بصفته نبيا ورسولا، وبصفته رئيس الدولة، وفي هذه المعاهدة نظّم الرسول صلّى الله عليه وسلم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لسكان المدينة المنورة من المسلمين والمشركين واليهود،[2] وكان من أهم بنود هذه الوثيقة المتعلقة باليهود ما يلي:

(١)- وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ،

(٢)- وَإِنَّ ... لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ،

(٣)- وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ

(٤)- وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ

(٥)- وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ

(٦)- وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ،

(٧)- وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا،

(٨)- وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ

(٩)- وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا

(١٠)- وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ

---

[1] قبل مجيء الرسول ﷺ للمدينة كانت كل قبيلة لها مرجعيتها

[2] محمود شيت خطاب، الرسول القائد (ص: ٧٢)

(١١)- عَلَى كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمْ الَّذِي قِبَلَهُمْ

(١٢)- وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ، وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ

وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ، وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١]

ثانيا: المعاهدة مع أهل نجران

اشتملت معاهدة نجران على مجموعة من البنود

ومن بنود هذه المعاهدة:[٢]

(١)- وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهَا جِوَارُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأَرْضِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَبِيَعِهِمْ

(٢)- وَأَنْ لَا يُغَيِّرُوا مِمَّا كَانُوا عليه وَلَا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا مِلَّتِهِمْ

(٣)- وَلَا يُغَيِّرُوا أُسْقَفًّا عَنْ أُسْقُفِيَّتِهِ وَلَا رَاهِبًا مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلَا وَاقِهًا مِنْ وُقَيْهَاهُ،

(٤)- وَكُلَّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دِنْيَةٌ وَلَا دَمُ جَاهِلِيَّةٍ وَلَا يُحْشَرُونَ وَلَا يُعْشَرُونَ وَلَا يَطَأُ أَرْضَهُمْ جَيْشٌ

---

[١] ابن هشام، السيرة النبوية (١/ ٥٠٣). ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والسير (٢٨٨/١). ابن كثير، السيرة النبوية (٣٢٢/٢). ابن حديد جمال الدين، المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (٨/٢). الصالحي، سبل الهدى والرشاد (٣٨٢/٣)

[٢] البيهقي، دلائل النبوة (٣٨٢/٧)

(٥)- وَمَنْ سَأَلَ فِيهِمْ حَقًّا فَبَيْنَهُمُ النِّصْفُ غَيْرَ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ بِنَجْرَانَ

(٦)- وَمَنْ أَكَلَ رِبًا مِنْ ذِي قَبَلٍ فَذِمَّتِي مِنْهُ بَرِيئَةٌ

(٧)- وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ رَجُلٌ بِظُلْمِ آخَرَ

ثالثا: المعاهدات مع أهل أيله ومقنا ودومة الجندل

هذه قرى صغيرة تقع بين الحجاز والشام وقد عاهدها صلى الله عليه في غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة' كما عاهد بعض القرى الأخرى بعد فتح خيبر . [١]

[١] انظر ابن هشام \ السيرة (٢٣٠\٣)

خاتمة البحث

من خلال استعراض الآيات القرآنية وأقوال الرسول صلى وسلم وأفعاله وإقراراته المتعلقة بالتعامل مع أهل الكتاب نخلص إلى النتائج التالية :

أولا: أن الاختلاف سنة من سنن الله تعالى ولا تبديل لسنة الله، ولكن هذا الاختلاف ليس سببا للعداء بل يجب تفعيل القواسم المشتركة بين البشر لينعم الجميع بالأمن والأمان .

ثانيا: كان صلى الله عليه وسلم يتمنى هداية البشرية كلها ويتمنى هداية أهل الكتاب خاصة لكونهم يؤمنون ببعض الرسل وببعض الكتب، وكان يحب موافقتهم فيما لم ينزل عليه فيه أمر.

ثالثا: أتسم تعامل الرسول ﷺ مع أهل الكتاب بالاحترام فلم يجبرهم على ترك شيء من دينهم وعاداتهم وقيمهم الاجتماعية وكل ما هو مسموح لهم في ملتهم، ولم يغير أحبارهم ولا قساوستهم على الرغم من أنه ممكن أن يقوم بذلك لمنصبه.

رابعا: لقد كانت الصلات الاجتماعية معلما بارزا في تعامل الرسول ﷺ مع أهل الكتاب، وقد تكررت الزيارات المتبادلة بينهم واستقباله لهم في بيوته وفي المسجد والتعامل معهم بيعا وشراء وإكرام رجال دينهم والسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينة، واللعب في المسجد.

خامسا: من النتائج المهمة جدا لهذا البحث هو بيان أن للتسامح حدودا وضوابط، وأنه لا يعني بحال من الأحوال التنازل عن الثوابت الدينية .

سادسا: قام صلى الله عليه وسلم بالتحاور مع يهود المدينة ونصارى نجران كما بعث رسائل لملوكهم وأمرائهم ك (هرقل) (المقوقس) (النجاشي) يدعوهم إلى الحوار وصولا إلى كلمة (سواء) .

سابعا: أقام صلى الله عليه وسلم معاهدات مع يهود المدينة وكتب (وثيقة المدينة) التي تعتبر أول دستور في التاريخ يبن الصلات بين أفراد المجتمع وبينهم وبين قيادة الدولة مع بيان الواجبات والحقوق' وأنهم يد واحدة ضد أعدائهم. كما أقام معاهدات مع أهل نجران بصفتهم جزء من رعايا الدولة وبين حدود العلاقة مع الدولة من الحماية لهم وعدم التدخل في شؤونهم الدينية والاجتماعية.

وفي الختام هذا البحث فيه جلاء وبيان' وفيه دعوة للعودة إلى القيم التي وضعها رسول الله ﷺ من خلال سيرته العطرة التي هي المحجة والطريق المنير لمن أراد السعادة في الدنيا والفوز في الأخرى . وصلى وسلم على سيدنا وقدوتنا وإمامنا محمد بن عبد الله صلى عليه وسلم.

تم الانتهاء منه بحمد الله تعالى في شارقة القيم وشارقة الجمال وشارقة الثقافة والعلم. الجمعة١٩\محرم\ ١٤٤٣هـ - الموافق: ٢٠٢١\٨\٢٧م .

د. البان بن محفوظ الإدريسي-
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية.
أستاذ مشارك –كلية الآداب والعلوم الإنسانية-
الجامعة القا سمية

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

(أ)- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني" مسند الامام احمد" تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي (دمشق- مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)

(أ)- أحمد أحمد غلوش " السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني " (بيروت- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م)

(أ)_ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي " السيرة النبوية - من البداية والنهاية لابن كثير " تحقيق: مصطفى عبد الواحد (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م)

(أ)- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي " دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة " (بيروت- دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ)

(أ)- أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه " مسند إسحاق بن راهويه " تحقيق د. عبدالغفور بن عبد الحق البلوشي

(أ)- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني" دلائل النبوة " تحقيق الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس (بيروت: دار النفائس، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)

(أ)_ أبو العباس، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي " المفهم لما اشكل من كتاب تلخيص مسلم " تحقيق محي الدين ديب مستو وآخرون (دمشق- دار ابن كثير ط ١ - ١٤١٧- ١٩٩٦م)

(ح)- أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه" الأموال " تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض الأستاذ المساعد - بجامعة الملك سعود

(الرياض- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)

(س)

(س)- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني " المعجم الكبير" تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (-الرياض - دار العصيمي الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤)

(ع)

(ع)- عبد الرحمن بن ناصر السعدي " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " تحقيق، عبد الرحمن بن معلا اللويحق (بيروت – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ)

(ع)- عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري،" شرف المصطفى " (ط الأولى مكة – دار البشائر الإسلامية – ١٤٢٤هـ)

(ع)- علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر " تاريخ دمشق " تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي (دمشق- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)

(ع)- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان " الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار " تحقي: كمال يوسف الحوت (الرياض : مكتبة الرشد -الطبعة: الأولى، ١٤٠٩)

(ع)- علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (بيروت: دار الفكر، - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)

(ع)- عبد الرزاق بن همام الصنعاني " المصنف " تحقيق عبد الرحيم الأعظمي (بيروت - المكتب الاسلامي- ط الثانية ١٤٠٣هـ ،)

(ع)- أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني " أخلاق النبي ﷺ وآدابه "تحقيق : صالح بن محمد الونيان- (دار المسلم للنشر والتوزيع - الرياض السعودية)

(ع)- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين " السيرة النبوية لابن هشام " تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي (مصر- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م)

(ع)- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي " الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام " اتحقيق: عمر عبد السلام

السلامي (بيروت– دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)

(م)

(م)– محمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد " الطبقات الكبرى " تحقيق: محمد عبد القادر عطا (ط– الأولى – بيروت– دار الكتب العلمية – ١٤١٠هـ ١٩٩٠م)

(م)– محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين ابن حديدة " المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي" تحقيق : محمد عظيم الدين (بيروت– الناشر– دار عالم الكتب)

(م)– محمد بن يوسف الصالحي الشامي " سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد" تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض (بيروت– دار الكتب العلمية – الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م)

(م)– ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني،" سنن أبن ماجه " تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دمشق– دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي)

(م)– د. محسن محمد عبد الناظر " حوار الرسولﷺ مع اليهود " (الكويت – دار الدعوة للنشر والتوزيع)

(م)– محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى "سنن الترمذي" تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد

فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) (مصر – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م)

(م)– محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري" تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر

(دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ)

(م)– مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت– دار إحياء التراث العربي)

(م)_ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين " عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" تعليق: إبراهيم محمد رمضان (بيروت: دار القلم – الطبعة: الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣.)

(م)– محمد حسين هيكل " حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الرابعة عشرة

(م)– محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة " السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة " (دمشق– دار القلم الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧ هـ)

(م)– محمود شيت خطاب " الرسول القائد " (بيروت – دار الفكر – الطبعة: السادسة – ١٤٢٢ هـ)